

آراء كبار الاطباء

في المبادرة الى العلاج

وانرها في سير المرض وشفائه

أصيب ابن سينا في آخر حياته بأحد الامراض المستعصية ، لحاول ان يعالجه بما أدت اليه معرفته في علم الطب فلم يفلح ، وبئس من شفاء هذا المرض . فأعمل مداواة نفسه واخذ يقول : « المدير الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير . والآن فلا تنفع المعالجة »

وفي كلام ابن سينا ما يدل على ان في جسم الانسان قوة تتولى شفاؤه من الامراض . وحيثما كانت هذه القوة مرجوة فان شفاؤه لا بد حاصل . اما اذا تلاشت أو عجزت فان المعالجة لا تجدي والدواء لا ينفع . ويؤيد ذلك ان كثيراً من المرضى يشفون برومياً بلا مساعدة الطب ، وان لجسم من تلقاء نفسه وبواسطة فعل هذه القوة الشافية يطرد المواد المضرّة ، وان بعض هذه المواد المضرّة تدخل جسم الانسان ، وتخرج من تلقاء نفسها او بما يحدث من التفاعلات الطبيعية داخل لجسم

وهنا نسأل هذا السؤال : هل تجب المبادرة الى معالجة الامراض من اول ظهورها أو تهمل هذه المعلّبة ويترك الشأن للطبيعة ؟

وقد أردنا ان نستفتي بعض كبار الاطباء في هذا الموضوع ، وهم : حضرة صاحب السادة الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية ، والدكتور علي باشا ابراهيم عبد كلية الطب والدكتور محمد بك عبد الحميد مدير مستشفى الملك وكبير جراحيه ، وحضرة المفتاح الدكتور عبد الرحمن شهبندر الطيب والزعيم السوري ، والدكتور سليمان بك عزمي طبيب الامراض الباطنية بمستشفى قصر العيني . فتنفعلوا واجابوا بما يلي :

الدكتور محمد شاهين باشا

« خير خاف ان جسم الانسان آلة معقدة التركيب اعدت لتحتمل وتقاوم ما يحيط بها من عوامل الطبيعة السائلة في الكون — وصحة الانسان تتوقف على سير منتظم لعدة عمليات

مطردة ووظائفه لو تعطلت أداؤها، أو اضطرب نظامها لصاب هذه الآلة الاختلال وافضى ذلك الى تنكس جادة الصحة وهذا ما اصططح على تسميته بالمرض — ومن مستزمات ظهوره وجود البيئة المهيئة لانيته من تربة ينمو فيها ويورث توضع في هذه التربة واستلام من جانب الجسم — فالتربة هي الجسم والبرور هي الجراثيم أو العوامل التي تعمل في الجسم فعلاً ضاراً، واستلام الجسم يحصل بسبب ضعف مقاومته — وتوافر هذه العوامل الثلاثة يحدث تشاعل ورد فعل يتشأ عنها المرض. أما هذه العوامل المسترضة فتأثر الى حد بعيد بعدة مؤثرات اجتماعية وشخصية وخارجية وحتى اقتصادية

« وبناء على ما تقدم أرى وجوب معالجة المرض منذ أول ظهوره سواء بالعلاج النوعي ان كان معروفاً أو بعلاج اعراضه أو بمعاونة الجسم على مقاومة المرض واستئصال شأفة المثرات التي ألقها اليها وذلك لدواع اجتماعية وطبيعية. ففي الحالة الأولى يتيسر بتشخيص المرض عند بدء ظهوره درء خطر انتشاره في المجتمع لو كان معدياً — وفي الحالة الثانية يمكن مساعدة الطبيعة على القيام بفعلها انشافي اما بتوليد اجسام مقاومة للرض في جسم المريض أو بإخراج المراد الفارة منه سواء كانت غريبة عنه أو متولدة فيه ذاتياً — هذا ودراسة المرض أو اصلاح الانحراف عن الحالة الطبيعية أو بذل النصيح بما يجب اتباعه في كل خطوة من خطوات سير المرض هو من الوسائل المهيئة على الشفاء ان لم تكن معجلة به فضلاً عن ان الاستعانة بها توفر على الجسم احتقاد مقادير وافرة من قواه التي هو في أشد الحاجة اليها في احوال شدوذيم عن الحالة الطبيعية

« وشي من البيان ان اغفال هذه الوسائل قد يأتي بمضاعفات للرض لا تحمد عقباهما فالعلاج في الواقع هو من قبيل تقليد الطبيعة في فعلها الثاني وانسلاك ناسيتها وأداة قواها الكامنة لتقيام ببعثها العلاجية »

الركنور على باشا ابراهيم

ان الطبيعة حارس ساهر امين ولهذا الحارس في الدفاع عن حرمة معجزات في كثير من الاحيان . لكن هذا الحارس قد يتخذ أحياناً على غرة وقد يشيخ ويهرم وقد يشتط في الدفاع عن حرمة شططاً يضنيه في النهاية فلا يكاد يظهر له في الميدان عدو جديد حتى يلتي تحت قدميه السلاح ووظيفة الطب والطبيب في هذه الاحوال جميعاً ان يشرف على هذا الحارس حتى يستجمع قواه ويحشد جنوده وان ينظم له خطط الدفاع ووسائل المحرم وان يعده بالقوى ان خارت قواه

فاذا كان كثيرون من المرضى يشقون كل يوم بغير معونة الطبيب فكم من المرضى يتألمون

كل يوم في وحدتهم بلا مجرد وهم منهم يموت كل يوم وكانت حياتهم يتوقف خطتها الاخير على اصبع مؤاس يمتد له فيشده قبل ان يقطعه انقضاء . واخيراً كم من الامراض كانت تهب على الدنيا عواصف عواصف فانك بالارواح فتك النار بالمشيم — وما زالت تنتظر قفلة الرعاة لتعيد تاريخها من جديد — فوقت منها الطبيعة وقفة المخرج ان انقذت من راسها مريضاً تركت ألوفاً سواه جنباً وانسلاء واستطاع الطب والطبيب وحدهم ان يجعل هذه الامراض مجرد ذكرى بشعة لتاريخ فظيع . أتراك لو عشت يومئذ او قام اليوم مرض من هذه الامراض يأخذ بأثره أ كنت تختار للدفاع عنك قواك العادية الطبيعية ام هذه القوى نفسها تعينها وتشد ازدها قوى الطبيب ؟

انه من السهل ان تسمي نفسك مريضاً حيناً يصيبك زكام او جرح بسيط او حمى طارئة تتركك الامراض بضعة ايام — وحياناً بلا مرض ! — واسهل من هذا ان تبرأ من مرضك بغير مساعدة احد فتنهض من فراشك لتضمر الكليل المجد للطبيعة وتقبل ببساطة تهاوى المهتمين . . . لكن في الدنيا امراضاً اخرى ان لم رغم على التوصل فيها بالطب ليبرئك منها — وكثيراً ما يفعل — فلا اقل من ان رغم على التوصل به ليخفف عنك عذابها وآلامها وبرد عنك غائلة ما وراءها من مضاعفات

ثم ما هذه الطائفة الكثيرة من الاجسام التي تدخل الجسم وتتركه من تلقاء نفسها ؟ ان القول بان جرثومة مرض تدخل الجسم وتزوره ثم تتركه كما كان نظرية ان كان الطب اتقدم والاطباء اتقدماء قد أخذوا بها يوماً ما جعلوا الامراض ارواحاً خبيثة تستنقنا احياناً ثم ترحل فان تقدم العلم الحديث يرغمنا اليوم على ان لا نأخذها ولا نراها او نصدق ان بين جرثيم المرض جرثومة واحدة تنزل بيننا منزل الضيف الخفيف الظل ثم ترحل عنا كما نزلت بلام هذه الجرثيم كما يراها العلم اليزم اما ان تعصف بحياة مريضها او تتركه لاجباً فينجم بحياه ولا ميتاً ينجو من عذابه او يمنحه القوة على ان يكون لعنة الناس واما ان تقارقه يوم تقارقه بعاهة مستدبة او عشو أشل أو قوى ناقصة يعيها في المستقبل الحرب والكفاح فلاية فاية من هذه الغايات يرفع الطب والطبيب راية التسليم ؟ !

ان الطب يعجز احياناً كما تعجز الطبيعة نفسها حيناً يبلغ الكتاب اجله لكن ليس معنى هذا ان يترك المريض للطبيعة وحدها تقرر مصيره كما نشاء . انها كما قلنا حارس ماهر لكن هذا الحارس يحتاج في اوقاته الحرجة الى قائد يرد جناحه ان جمع ويشد قواه ان خارت قواه وهذا القائد هو — وسوف يكون دائماً — الطبيب

الركنور شمر بك عبر الحمير

« مثلت : هل يجب المبادرة الى معالجة الامراض من اول ظهورها بصلاحي ناجح او يترك امرها للطبيعة لتعمل عملها دون اعتراض سيرها ؟

« ولا شك ان هذا الاستفتاء من انساب ما كتبت فيه الجرائد والمجلات في الاحوال الخاضرة . في هذه الازمة الطاحنة الآخذة بمخاض جميع الطبقات ، سواء أكانوا اغنياء ام فقراء ، افراد ام جماعات ، شركات ام حكومات ، يجب ان يفكر الانسان في وسائل الاقتصاد والتوفير . وليس بعيداً ان يكون مما يفكر فيه الاستفتاء عن الطيب في احوال المرض اعتماداً على : -

- ١ - ان كثيرين من المرضى يشنون يومياً بلا مساعدة الطب
- ٢ - وان طاقة كبيرة من الاجسام تدخل انسجة الجسم الانساني وتخرج من تلقاء نفسها
- ٣ - وان الجسم من تلقاء نفسه يطرد المواد المضرة

« ولست ادري اي الفريقين اولى بالاهتمام بهذا الموضوع ؟ أفرين المرضى ام فريق الأطباء ؟ ذلك لان امر التداوي يكاد يكون ميسراً لكل مريض في مصر كينها كانت حالته . في عصر حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد المعظم حفظه الله تعالى وبهمة حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد باشا شاهين وكيل الداخلية للشؤون الصحية قد كثرت المستشفيات وتمددت اتراعها . فن مستشفيات قروية في كثير من القرى ، الى مستشفيات مركزية في عدد عظيم من المراكز ، الى مستشفيات في بنادر المديرات ، الى مستشفيات في بقوع البلد ، الى المستشفيات الكبيرة التي في طاصة القطر ، الى مستشفيات الرمد ، والانكيلوستوما والبهارسية ، الى مستشفيات رعاية الاطفال ، الى مستشفيات للامراض الصدرية والهرية ، الى مستشفيات وزارة الاوقاف ومستوصفاتها . فهذه كلها مفتوحة الابواب يدخلها المرضى بسلام آمنين . ويتولى علاجهم فيها الأطباء بكل لطف ورفق وعناية لا يربطون منهم جزاء ولا شكوراً . فان الحث الضائقة المالية على انسان وأكته في نواحي المعيشة المختلفة من مسكن وملبس ومأكل وغير ذلك فأمرها حين يسير من ناحية التداوي والمعالجة بفضل المستشفيات وكثرتها والعناية فيها . اما الأطباء في هذه الازمة فيخيل اليّ لهم ادنى تأراً بها من غيرهم بسبب اقبال المرضى على المستشفيات . ومما زاد في الظن بلة ارتفاع اثمان الادوية ارتفاعاً يشق على النفس في اوقات الرخاء فكيف به في هذا الزمن العصيب . ولذلك ترى اعمال الأطباء في عياداتهم اختصومية في كساد . ولولا انهم يشاهدون المرضى في المستشفيات لزموا ان المرضى قد قاطعوا او ان الامراض قد قطع دابرها . ولا تكلم على الاركان التي بني عليها الاستفتاء ولحداً فواحداً

« فاما الركن الاول وهو شفاء كثير من المرضى يومياً بغير مساعدة الطب فلا انكره وهب كما يقول بعضهم ان نسبة الامراض التي قد نشفي شفاة ذاتياً من تلقاء نفسها بغير مساعدة الطب تصل الى تسعين في المائة من جملة الامراض . بل هبها تصل الى اكثر من ذلك أنتظن ان التطبيب يقل شأنه اذا كان سبباً في انقاذ ما يمكن انقاذه من البقية الباقية ؟ وانى لا ذكر اني قرأت في احدى المجلات الطبية ما يزيد كلامي في هذه المسألة وضوحاً . ذلك ان القوم في امريكا ينادون بضرورة الرقابة الفنية لمنع انتشار السل في طلبة الجامعات اي في سن الشباب وهي السن المعرضة للسل مما يتم باختبار الطلبة قبل دخولهم الجامعة بالتيروكولين (وهو طعم السل) والنتيجة السلبية لهذا الاختبار تدل على سلامة الطالب من السل وانه مأمون الجانب . اما اذا كانت النتيجة ايجابية فلا بد من التهادي في الاستمضاء حتى يتبين ان تلوث الطالب بـميكروب السل لم يصل الى درجة الخطر على نفسه او على غيره من مخالطيه . وقيل ان نفقات هذه الطريقة لا تكلف اكثر من دولارين لكل طالب . وقد وجدوا انهم بها يتكفون من انقاذ طالب من كل ٥٠٠ طالب . واذكر ان الكاتب قال مامعناه اذا كان انقاذ الطالب لا يتجاوز نحو الالف من الدولارات فليس من العبث الاستمرار على هذه الطريقة

« ولعل ادنى الامراض التي الشفاء شفاة ذاتياً هي الامراض المعدية التي اتي عليها حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً لان الاطباء يومئذ لم تأس^(١) طرق انتشارها ، ولا سبيل انتقالها ، فكان اذا حل الوهاب وافداً في بلد من البلاد تعادى القوم وتقاعدوا ، ومات بعضهم إثر بعض ، وكنت تراهم لا يفرغون متدافنين . اما الآن فقد تبدلت الحال غير الحال ، واصبح بفضل تقدم الطب ، في وسع الطبيب ، لو ادرك المريض وهو في الدور الاول من المرض ان يدرأ عنه مختلف المضاعفات التي قد تطرأ عليه وتكون سبباً في هلاكه ، وان يعطل اشتداد المرض الى اقاربه وذويه ، وأن يمنع انتشاره في قرته وبلدته . نعم اصبح الآن في وسع الطبيب ان يفعل ذلك كله فيدفع هماً واغلاً وخطراً داهماً يحصد النفوس ويترك البلاد قاعاً صنفصفاً كما كانت تفعل الاوبئة الى عهد ليس ببعيد . ولو لم يكن للطبيب غير هذه النتيجة الباهرة من اعتراضه سير هذه الامراض في اول امرها لكفتة شأنها ونفراً

« وهناك فئة من الامراض المستعصية ، وقاك الله شرها ، تجعل صاحبها في الم شديد مستمر مما يندفعه الى طلب الموت او استقباله بكل مرور وهنا يكون عمل الطبيب تخفيف الآلام ، وتسكين الاوجاع . ولا ادري ماذا تكون حالته لو ترك امره للطبيعة تفني حياته (بالقطاعي) تدريجاً انه بطيئاً تسيماً يفتت الاكباد

« واني وان كنت لا انسى فضل الطبيعة فيما تساعد به الجراح في وقف النزف ولا تم الجرح وغير ذلك الا اني لا ادري كيف تعني الشفاء بغير ان يماشيها الجراح في سيرها بتفتح الاخرجة وربط الاوعية وخياطة الجرح بما يسهل على الطبيعة عملها وبكله . وربما كانت الامراض الجراحية المختلفة كالنشوهات والاورام والسكري والخلع والالتهابات والجروح والقرحات والحصى الكبدية والبولية وغيرها من انواع الامراض الى رشافة يد الجراحين من الاطباء وأقلها استقلالاً عنهم فلا يمكن ترك امرها للطبيعة

«وأما الركن الثاني فصحيح فكم من طفل بلع جماً غريباً صغيراً وخرج من تلقاء نفسه ، وكم من مادة غريبة دخلت او ادخلت في الانسجة فتخلص منها الجسم اما بامتصاصها ، واما بطردها واما بتكيسها . على ان التقيض صحيح ايضاً فكم من ابرة او دبوس دخل في الجسم وانقضى عنه شديداً لاستخراجه وكم من رصاصة دخلت فأتلفت فكان لا بد من الجراح في التوسط » وأما الركن الثالث فصحيح ايضاً كما اذا تناول الانسان شيئاً مضرًا كإدابة سماعة فان الجسم يطردها من تلقاء نفسه بما يحدث عنها من القيء والاسهال ، لكن الاغلب ان يمتص الجسم جانباً منها قبل طردها . ولذلك يحسن ان يبادر الطبيب بفسل المعدة مثلاً لاستخراج المادة السامة قبل ان تمتص وتنفوس الاوان

« بقيت لي كلمة ارجوان يسمح لي حضرة الاستاذ المستفي ان اتمس بها في اذنه مداعباً او معاتباً :
«الم يكف الاطباء انهم مهضومو الحقوق من الامة شعباً وحكومة الم يكنهم ان مصلحة الصحة قد ضيقت عليهم ارزاقهم بالاكثر من المستشفيات المختلفة قبل الازمة ، ثم حلت الازمة فزادت في الطيور نفة

«الم يكفهم انهم بالرغم من ذلك كله لا يألون جهداً في اداء ما عليهم من الواجبات بقلوب صابرة مطمئنة ونفوس فرحة متبشرة

«الم يكفهم ذلك حتى زلتهم فقتهم تمسيتهم في امر الاستفتاء عنهم ؟ اترك الامراض وشأنها !
«ولكن حسبهم ان يكون من اسرهم مثل جنر مكتشف التطعيم بالمادة الجدرية فأعاد الانسانية حتى لقد قال بعضهم ان مضع جنر انقذ من النفوس اكثر مما اهلك سيف نابليون وحسبهم ان يكون منهم مثل لورد لستر الذي ابتدع مبادئ الطهر والتطهير - العقم والتعقيم - ونشر هذه المبادئ فعم بها الظير على الانسانية المعذبة حتى لم يكن ان يقال ان هذه المبادئ اتخذ من الناس اكثر مما اهلكت الآلات المدمرة في الحروب من المدافع والقنابل والطائرات والغواصات لكن حسبهم لله ونعم الركيل »

الوكثور غير الرهمن شهيندر

«انهم من كلمة «علاج ناجح» في مؤالكم انه علاج متى اعطي للمريض ازال المرض منه .
فبديهي والحالة هذه ان يكون الواجب الاول على الطبيب (او الجراح) ان يعالج مرضاه من
الساعة الاولى بمنزل هذا العلاج اذا تيسر وجوده لان انتظار الطبيعة لتعمل عملها يكون اضاعه
لوقت في اكثر الاحيان واعتماداً على قوة صمياء قد تحول الشيء البسيط الى مركب والطفيف
الى خطير . والطبيب الذي ينتظر الطبيعة لتشي مريضه من البرداء - الملاريا - مثلاً بدلاً
من اعطائه الجرع الكافية من الكينا لقتل الجرثومة وهي في المهد قبل ان تحدث تغيراً في
النسجة الجسم مثله كمثل ذلك المهندس الزراعي الذي فتح نفرة من نهر دجلة في بغداد في
وقت الفيضان منذ خمس سنين لري بعض الحدائق توفيراً لبضعة جالونات من البترول يحركها
مضخته فكانت النتيجة ان حدث طفوفان في عاصمة العراق كلفها مئات الالوف من الجنيهاً
ولولا السدود الصناعية التي احاطت بمدخل المدينة ما تركت الطبيعة داراً دائمة هناك

«ولكن من سوء الحظ كثيراً ان ليس لجميع الامراض علاج ناجح . ويمكننا ان نقيس
تدرج المدينة بما اوجدته من العلاجات الناجمة منذ اتخذ الانسان الهمجى متنوع الشج
مقيماً في عر الهضم والسكي مبرداً للاكلام الموضعية والسمن المغلي مطهراً للجروح الى ان
اعتدت كوتنس شنشون في بلاد البيرو الى قائمة شجر السكونا في علاج البرداء والورد
لتر الى المطهرات في محاربة الجراثيم واستكشف باستور تلقيح الكلب وبهرنج اتمام مصل
الدفثيريا وارليخ مركب الزرنخ المشهور في علاج اژهري وبانتج الانولين في الديابيطس
وهويل فعل التغذية بالكبد في فقر الدم وغير ذلك من الوسائل الناجمة التي لا يتسع لها
هذا المقال والتي يمد لتفاتها في ساعة لطاعة ايها جتاية فنية لا تنفتر

« اني لا أنكر ابدأ ان علاجاتنا الناجمة محدودة وهي تدعى في الاصطلاح علاجات
نوعية يعني انها خاصة بشفاء امراض معينة وهي ويا للأسف ليست على نسبة ما استكشف من
الامراض حتى الآن . ففما هذه الامراض طويلة عريضة قد تحدث قراءتها التضخمة العقيلة وقائلها
قصيرة ناقصة تترك كل زيادة للمستريد . وهذا الفرق الجلي كان اشد ظهوراً في القرن التاسع
عشر منذ البحوث التي اجراها (لينيك) في مرض السل الى ان قام (ترخو) وأبان علائق
الامراض بالثغيرات النسيجية في الاعضاء ثم ما ظهر بعد ذلك من علم الجراثيم وفنكها
فكانت الامراض يجرأ خضاً وكانت ادويتها وشلاً تافهاً . لا جرم ان يقف الطبيب يومئذ
مبهوتاً خائر القوى فيعترف بملء قلبه بأن الامراض - الا النذر القليل منها - لا علاج
لها وان يعتمد على الطبيعة في جميع مواقفه شأن (جون ستوارت مل) وزملائه من الاقصاديين

والاجتماعيين الذين رأوا تعدد الموضوعات التي طرفوها وسعها التي لا حد لها وعمقها الذي لا قرار له ورأوا من الجهة الاخرى بلادة المجتمع واستسلامه ومرته وتعلقه بالتقديم لانه قديم فقالوا كما قال بعض من سبقهم بمذهب Laissez faire بأوسع معانيه وهو « دع المقادير تجري في اعينها » ولا تتدخلن بها فتفسنها برأيك المعكوس . ولكن الذي حدث في غضون الستين أو السبعين سنة الاخيرة من الاصلاحات الغالية الاختيارية في ميدان الاقتصاد والاجتماع يجعل مثل هذا الرأي في التعليل كما قلت دائرة المعارف البريطانية ناقصاً الى درجة مضحكة . وهذا الحكم القاسي على جميع نظرية « دعها سماوية » ليس باقل انطباعاً منه على نظرية العلميين او النهلست في الطب والعلاج

« لقد انقرض مذهب الجبريين في الاقتصاد والاجتماع وحلت محله تجارب العلاج الاقتصادي الاجتماعي وكذلك انقرض مذهب العلميين في الطب والجراحة وحلت محله تجارب العلاج النوعي والطبيب الذي ينتظر الطبيعة لتقضي على جرثومة الدفتيريا وتردها قبل ان يسعف مريضه بالصل هو جان في نظر العلم مثل الجراح الذي ينتظر ظهور الحد العاصل في الفرغرينا المعدية المنتشرة الحادة قبل ان يتر العضو الميت

« لكن هذا الكلام لا يقلل من قيمة الطبيعة ولا يعني بوجه من الوجوه اننا لا نعتمد عليها في اتمام اعمالنا خصوصاً في الامراض التي لم نمتد بعد الى استكشاف علاج ناجع لها وقد تكون الطبيعة مموئنا الاساسي في بعض الامراض كالمثل مثلاً على رغم جميع الاعلانات التجارية عن ادوية النوعية بما فيها التيوبوكلين واملاح الذهب الوهاج من الساكرويسين الى السولجوتال فالأوكريسين ولا تزال القواعد الثلاث التي يرتكز عليها علاجه الى هذه الساعة قواعد طبيعية من هواه طلق وراحة مسكنة وغذاء مشبع

« الأنا اذا عملنا قاعة بالادوية النوعية وتاريخ استكشافها وجدنا السير بطيئاً في اول الامر وسريعاً سرعة خارقة في الآخر بما يتمشى مع سائر ابواب العلم التجريبي . وتلاحظ هذه السرعة خاصة في علم الجراثيم ولا نبالغ اذا قلنا ان الطبيب القادم سيكون مسلحاً بالعلاجات الناجمة لعظم الامراض مما ينسب عن انتظار الطبيعة كثيراً وبحقق امنية العطاء اليوم من جعل الاصلاحات الجسدية والعقلية والاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية غاية تخضع لارادة العلم لا يخلفة تتوقف على القوى الشاذة التي لا ضابط لها

الركن الرابع عشر

« انني من الذين يقولون بأنه لا بد من علاج الامراض من اول ظهورها . لان الطيب لا ينسى ان واجبه حسب النثل الانكليزي : « اجتهد ان تمنع المرض ، وان لم تستطع فاشفه والآن تخفف آلام المريض او واسه » . ثم انه لا يخفى ان المرض اذا قام الطيب بمعالجته منذ اول ظهوره قد يدرأ بذلك خطراً يتعرض له المريض اذا اهملت معالجته من اول الامر، ويدفع ما قد يصيب المجتمع من جراء هذا المرض اذا كان معدياً

« ومن جهة اخرى فان ارشادات الطيب ومراقبته لسير المرض يجعله يسير سيراً طبيعياً بعيد العاقبة لان المشاهد دائماً ان الامراض التي يبادر بعلاجها تنتهي الى الشفاء بسرعة دون غيرها مما يحمل علاجها وتؤدي الى حدوث مضاعفات او عواقب سيئة
« واذا سلمنا بأن كثيراً من المرضى يشقون يومياً بلا مساعدة الطب ، فان شفاءهم في اعتقادي يكون ظاهراً كما يبدو لتغير الأطباء . والغالب ان الامراض تترك عندهم مضاعفات تحتم ان تتخذ الاجراءات المتعاقبة لمداواتها

« وان نسبة الذين تحدث لهم مضاعفات ممن يعرضون انفسهم على الأطباء من اول اصابتهم اقل بكثير من نسبة الذين لا يعرضون انفسهم الا في منتصف المرض او الذين يهلون انفسهم اهلاً
« اما ان للجسم من تلقاء نفسه يطرد المواد المضرّة . فذلك ما يسمى بقوة المقاومة في جسم الانسان ولكن قد لا تكون قوة المقاومة كافية . ويحتاج الجسم الى مساعدة الطيب وحينئذ اذا اهمل استدعاء الطيب ادى الى وقوع المريض في الخطر . ولما كانت قوة مقاومة الامراض مجهولة للمريض فيجب عليه من اول ظهور اعراض المرض ان يسرع الى استدعاء احد الأطباء

« ولا اوسع في هذا الموضوع ، واقول لك ان بعض الامراض كالنفتريا او الشيفوس اذا لم تتخذ لها الاجراءات الواجبة من اول ظهور اعراضها ، فانها تصح كالطاعون والكوليرا . هذا مع تسليي بأن الانسان طبعاً يتخذ من قوة مقاومة الجسم سلاحاً لمقاومة الامراض في بعض الاحيان ، ولا يركن الى الادوية الا عند الضرورة

« واما ان بعض المواد المضرّة تدخل جسم الانسان وتخرج من تلقاء نفسها او بتفاعل طبيعي داخل الجسم ، فهذا جائز ، ولكن لو صادف ان هذه المواد كانت ملوثة بميكروبات عدوى شديدة فاذا تكون الحال ؟ تكون إما التسمم الصيدي او التلوث أو غير ذلك

« ومن هذا ترى انه لا بد من حرص المريض على الطيب من اول ظهور اعراض المرض حتى يأخذ احتياطاته وينقذ المريض من المرض ، بل يدفع عن المجتمع خطراً قد يصيبه اذا كان من الامراض المعدية »